المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم ﷺ

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة، تُعنى بنشر بحوث الدّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

موضوعات العدد:

- **الفروق الدلالية بين "كل" و"جميع" في اللغة العربية والقرآن الكريم (دراسة لغوية قرآنية)**
  أ.د. نبيل بن محمد الجوهري
- **دلالات (ما) في القرآن الكريم وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية**
  أ.د. مجدي حاج إبراهيم، ونور عفيفة بنت قمرالزمان
- **ميزان العدالة في تفسير أحكم آية**
  د. نوال بنت ناصر الثويني
- **مناسبة القصص في السورة القرآنية لمقصدها (دراسة تطبيقية على سورة البقرة)**
  د. توفيق علي زبادي
- **الأحاديث النبوية الواردة في الفأل (جمعاً ودراسة).**
  أ.د. عمر بن إبراهيم سيف
- **طرق حديث: (من غسَّل يوم الجمعة واغتسل)**
  د. صالح بن عبدالله آل ناصر العسيري

المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم ﷺ

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة

تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

العدد الثاني- السنة الأولى - رجب ١٤٣٩هـ

حقوق الطبع محفوظة لمجلة تعظيم الوحيين

ترخيص وزارة الثقافة والإعلام -الرياض، المملكة العربية السعودية
برقم: (٨٠٤٤)، وتأريخ: ١٤/ ٤/ ١٤٣٦هـ

رقم الإيداع: ٩٩٣٩/ ١٤٣٨
تأريخ: ٢٨/ ١/ ١٤٣٨
ردمد: ١٦٥٨ - ٧٧٤x

سعر المجلة: (٢٠) عشرون ريالا سعوديًا أو ما يعادله

عناوين المراسلات والاستفسارات

جميع المراسلات تكون باسم رئيس تحرير المجلة:
البريد الالكتروني للمجلة: mjallah.wqf@gmail.com
مَجَلّةُ تَعْظِيمِ الوَحْيَيْنِ، وقف تعظيم الوَحْيَيْنِ،
حي الروابي- المدينة المنورة: ص. ب: ٥١٩٩٣، الرمز البريدي: ٤١٥٥٣،
المملكة العربية السعودية
هاتف المجلَّة: ٠٠٩٦٦١٤٨٤٩٣٠٠٩ تحويلة: ١١٥
جوال المجلَّة وواتسآب: ٩٦٦ ٥٣٥٥٢٢١٣٠+
تويتر: @wahyain-mejellah

المواد العلميَّة المنشورة في المجلَّة تُعبِّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

التعريف:

مؤسّسة وقفيَّة تقوم على خدمة القرآن الكريم والسّنة النبويّة المطهّرة، وبيان هدايتِهما، وتحقيق غاياتِهما، وتفعيل مقاصدِهما.

النشأة:

في عام ١٤٢٨ هـ، كانت البداية باسم: «**مشروع تعظيم القرآن الكريم**».

وفي عام ١٤٣٤ هـ، أصبح المشروع مركزا ضمن مراكز المدينة المنوّرة لتنمية المجتمع تحت اسم: «**مركز تعظيم القرآن الكريم**».

وفي عام ١٤٣٦هـ، تم تطوير المركز واستقلاله، ليكون مؤسّسة وقفيّة باسم: «**وقف تعظيم الوحيين**».

الرؤية:

الارتقاء في تعظيم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة ودراساتهما محليـًا وعالميـًا.

الرسالة:

تعظيم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة في المجتمع والأمّة، بتفعيل مقاصدهما وغاياتهما وبيان هدايتهما.

الأهداف:

١- إبرازُ مظاهرِ عظمة القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة، وبيانُ حقوقِهما.

٢- الدفاعُ عن كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفنيدُ الشبهات عنهما.

٣- الارتقاء بالدِّراسات البحثيّة والدّورات التّدريبيّة المتخصِّصة في الدّراسات القرآنيّة والحديثيّة وما يتعلق بهما.

مجلة تعظيم الوحيين

التعريف:

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة، تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما ورقياً وإلكترونياً، لأساتذة الجامعات، وأهل الاختصاص، والباحثين المهتمين بعلوم الوَحْيَيْنِ.

الرُّؤية:

أن تكون المجلة منارة علميَّة بحثيَّة في خدمة الوَحْيَيْنِ الشريفين وتعظيمهما.

الرِّسالة:

تحكيم البحوث العلميَّة الجادَّة والأصيلة ونشرها في مجالات الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

الأهداف:

١- نشر البحوث العلميَّة المتخصصّة في الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٢- إثراء المجلات العلميَّة في مجالات الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٣- شحذُ هِمم الباحثين للكتابة، وتلبية احتياجاتهم لنشر بحوثهم.

٤- العناية بمعايير الجودة في البحوث العلميَّة.

٥- التمهيد لمشاريع علميَّة موسوعيَّة مبتكَرة في الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٦- دعم أنشطة الوقف المتنوعة بالبحوث العلميَّة الجادَّة ذات الصِّلة بعمل الوقف وأهدافه.

المشرف العام

أ.د/ عِمَاد بن زهير حافظ

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

نائب المشرف العام

د. أحمد بن عبد الله سليماني

أستاذ القراءات وعلومها المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رئيس التحرير

أ.د/ حِكمت بن بشير ياسين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدير التحرير

د/ ياسر بن إسماعيل راضي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أعضاء هيئة التحرير

أ.د/ عبد العزيز بن صالح العبيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ عبد الله بن محمد حسن دَمْفُو

أستاذ الحديث الشريف بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أ.د/ حسين بن محمد العواجي

أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ سُعود بن عيد الصَّاعِدي

أستاذ الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ خالد بن عون العنزي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أ.د/ عبد الله بن عبد العزيز الفالح

أستاذ الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ باسم بن حمدي حامد السيّد

أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د/ أمين بن عايش المزيني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الهيئة الاستشارية

أ.د/ محمد سيدي بن محمد الأمين
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمد بن يعقوب تركستاني
أستاذ اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ زين العابدين بلافريج
أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء
(المغرب)

أ.د/ سعيد بن فالح المغامسي
أستاذ الإدارة التربوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ غازي بن غرماي المطيري
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ نبيل بن محمد الجوهري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(مصر)

أ.د/ السالم محمد محمود الجكني
أستاذ القراءات وعلومها بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمد بن عبد العزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ أحمد بن علي السديس
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمد آيدن
أستاذ التفسير بجامعة صكاريا بتركيا وجامعة قطر بقطر
(تركيا)

أ.د/ عبد الرحمن بن معاضة الشهري
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض
(السعودية)

أ.د/ المثنى عبد الفتاح محمود محمود
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(الأردن)

أ.د/ سالم بن محمد سالم إبراهيم
خبير الجودة والتخطيط والاعتماد الأكاديمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(مصر)

د/ وليد بن بليهش العمري
أستاذ اللغات والترجمة المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

د/ عيسى بن محمد القايدي
أستاذ الاتصال والإعلام المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

قواعد المجلة وسياستها في النشر

١- تَقبل المجلَّة في حقل الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلق بهما؛ ما يأتي:

- البحوث العلميَّة الأصيلة.
- دراسة المخطوطات وتحقيق الجدير منها.

٢- تخضع البحوث المقدَّمة للمجلَّة للتحكيم العلمي وبشكل سرِّي من أهل الاختصاص.

٣- تُحكَّم البحوث من محكمين - على الأقل - يكون قرارهما مُلزمًا، وفي حال تعارض حكمهما يُحكّم البحث من محكِّم ثالث ويكون قراره مرجحًا.

٤- يُبَلَّغ الباحث بقَبول بحثه أو عدم قَبوله برسالة رسميَّة من رئيس تحذرير المجلَّة.

٥- في حال عدم قَبول البحث لا يلزم هيئة التحرير إبداء أسباب عدم النشر.

٦- إذا تم تحكيم البحث وقَبوله للنشر لا يحق للباحث استرداده أو طلب إلغائه.

٧- لا تُعاد البحوث إلى أصحابها ولا تُسترد، سواء أنشرت أم لم تنشر.

٨- حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجلَّة.

٩- تُرتَّب البحوث في المجلَّة وفق اعتبارات موضوعيَّة وفنيَّة لا علاقة لها بقيمة البحث.

١٠- يُزوَّد الباحث بنسختين ورقيّتين ونسخة الكترونية من عدد المجلَّة المنشور فيه بحثه، وعشر مستلاّت خاصّة ببحثه.

١١- المواد المنشورة في المجلَّة تُعبِّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم.

١٢- يُقدِّم الباحث إقراراً خطياً بصيغة خطاب مصوّر (pdf) بأنّ بحثه لم يُسبَق نشره، أو مقدماً للنشر في جهة أخرى، أو مستلاً من عمل علمي للباحث سواءً رسالة علميَّة: (الماجستير أو الدكتوراه)، أوغيرهما. ويُرسل على بريد المجلَّة الالكتروني.

١٣- يُقدِّم الباحث نبذة مختصرة عن سيرته العلميَّة، وعناوين الاتصال، والبريد الإلكتروني، ويُرسل على بريد المجلَّة الالكتروني، ببرنامج الوورد (word).

شروط النشر ومواصفاته

١- أن يكون البحث في تخصُّص الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلَّق بهما.

٢- أن يتسم البحث بالأصالة والجدَّة والابتكار، وعدم التكرار مع غيره عنوانًا ومضمونًا.

٣- أن يتسم البحث بصحة اللّغة وسلامة المنهج.

٤- يُراعى في كتابة البحث المنهج العلمي في توثيق المعلومات، وعلامات التنصيص والترقيم.

٥- ألاَّ يقلّ عدد صفحات البحث عن: (١٥) صفحة؛ ولا يزيد عن: (٤٠) صفحة؛ مقاس: (A4)، .

شاملة لملخص البحث، ومراجعه. ولهيئة تحرير المجلَّة الاستثناء عند الضَّرورة.

٦- كتابة ملخص باللغة العربية لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة، يشمل: (موضوع البحث، وهدفه الرئيس، ومشكلة البحث، وأهم نتائجه، والكلمات الدَّالة (المفتاحية) على موضوع البحث، ولا يتجاوز عددها: (٤) كلمات.

٧- أن تتضمن مقدِّمة البحث: (موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهجه العلمي، والدِّراسات السَّابقة عن الموضوع، والجديد الذي سيقدمه البحث).

٨- أن تتضمَّن خاتمة البحث: (أهم نتائج الدِّراسة، والتوصيات العلميَّة في عناصر واضحة).

٩- يلتزم الباحث بالمواصفات الفنيَّة الآتية:

- نوع الخط: (Lotus Linotype) لمتن البحث، وعناوينه، وحواشيه، ومراجعه، وفهارسه...، وتباعد الأسطر: مفرَداً.
- مقاس خط متن البحث: (١٦) غير مُسْوَدّ.
- مقاس خط العناوين الرئيسة: (٢٠) مُسْوَدّاً.
- مقاس خط العناوين الفرعيّة: (١٨) مُسْوَدّاً.

- مقاس خط الحواشي السُفليّة: (١٢) غير مُسوَدٍّ، وتوضع أرقام الحواشي بين قوسين؛ هكذا: (١)، ولكل صفحة من البحث حاشيتها المستقلّة.
- تكتب الآيات القرآنيَّة بين قوسين مزهّرين؛ ببرنامج مصحف المدينة النبويَّة للنّشر الحاسوبي، بمقاس خط: (١٦) مُسْوَدًّا، وتوثق الآيات في السطر نفسه بحجم: (١٤) هكذا: [سورة البقرة: ٣٠].
- تكتب الأحاديث النبويَّة والآثار بين قوسين؛ هكذا: « ... »، بمقاس خط متن البحث نفسه ومُسَوَّدَة.
- التوثيقات في حواشي البحث مختصرة هكذا: (اسم الكتاب مسوَدًّا، اسم المؤلف أو اسم الشهرة، ويوضع الجزء والصفحة)، وتكون التوثيقات كاملة في قائمة المصادر والمراجع: اسم الكتاب مسودا، اسم المؤلف، اسم المحقق إن وجد، (الرياض: دار السلام، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م). ومرتبة ترتيبًا هجائيًا بحسب عناوين الكتب.
- الالتزام بمنهجية علميّة موحدة في بقيّة التوثيقات وقائمة المراجع وغيرها.
- يقدِّم الباحث نسختين من بحثه:

- نسخة إلكترونية بصيغة وورد (word).

- ونسخة أخرى مصورة بصيغة (pdf)، وترسل على بريد المجلَّة الإلكتروني.

مناسبة القصص في السورة القرآنية لمقصدها

(دراسة تطبيقية على سورة البقرة)

د. توفيق علي زبادي

عضو هيئة التدريس بمعهد الدراسات القرآنية بمكة المكرمة

towfeekali@hotmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

ملخص البحث

موضوع البحث:

دراسة مناسبة القصص في سورة البقرة لمقصدها.

هدف البحث:

الكشف عن مناسبة القصص في السورة القرآنية وبرهانه على مقصدها عموماً وفي سورة البقرة على وجه الخصوص.

مشكلة البحث:

هل للقصص في سورة البقرة مناسبة وبرهان على مقصدها؟

نتائج البحث:

١- مقصد السورة هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة، ومضمونها.

٢- القصص في السورة طريقة من طرق الكشف عن مقصدها وبرهان عليه.

٣- مقصد سورة البقرة الذي برهنت عليه القصص فيها: (إعداد الأُمة الإسلامية لحمل أمانة الخلافة في الأرض).

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

المناسبة - القصص - سُّورة البقرة - المقصد.

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]، أما بعد:

فقد أنزل الله القرآن الكريم؛ ليربي به الأُمة، ويقيم لها نظامًا تحمله إلى مشارق الأرض ومغاربها، وتُعَلِّم بهذا النظام البشرية وفق المنهج الكامل المتكامل.

ولقد تلقاه الجيل الأول من المسلمين توجيهًا يطبق في واقع الحياة كلما جاءهم منه أمر أو نهي، وكلما تلقوا منه أدبًا أو فريضة، ولم يأخذوه متعة عقلية أو نفسية كما كانوا يأخذون الشعر والأدب، ولا تسلية وتلهية كما كانوا يأخذون القصص والأساطير؛ فتكيفوا به في حياتهم اليومية، تكيفوا به في مشاعرهم وضمائرهم، وفي سلوكهم ونشاطهم، وفي بيوتهم ومعاشهم؛ فكان منهج حياتهم الذي طرحوا كل ما عداه مما ورثوه، ومما عرفوه، ومما مارسوه قبل أن يأتيهم هذا القرآن.

ولقد أنزل اللّه هذا القرآن قائمًا على الحق، فنزل ليقر الحق في الأرض ويثبته، فالحق مادته والحق غايته، ومن الحق قوامه، وبالحق اهتمامه.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن سلك في إقرار وترسيخ معالم هذا الحق في نفوس المؤمنين طرقًا وأساليبًا متنوعة منها: القصص، والأمثال، والمواعظ، والحوارات، والجدال بالتي هي أحسن، والآيات الكونية، والسنن الإلهية، وغيرها.

وفي سورة البقرة أنواعًا من هذه الطرق والأساليب.

موضوع البحث:

دراسة مناسبة القصص في سورة البقرة لمقصدها، وهو (إعداد الأُمة لحمل أمانة الخلافة في الأرض).

والمتأمل في القصص في هذه السورة الكريمة يلحظ تناسبًا موضوعيًا بين ما ذكر فيها من قصص، وتناسبًا بين القصص ومقصدها بصورة تدل على إعجاز في النظم القرآني، وتناسق في الأداء.

أهمية الموضوع:

١- خدمة كتاب الله الكريم.

٢- بيان إعجاز القرآن الكريم في نظمه وبيان معانيه.

٣- بيان التناسب الموضوعي في القصص القرآني في السورة القرآنية.

٤- إبراز مناسبة القصص في السورة القرآنية وبرهانه على مقصدها.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن مناسبة القصص في السورة القرآنية وبرهانه على مقصدها من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما المقصود بالمناسبة؟

٢- ما المقصود بمقصد السورة؟

٣- ما المراد بالقصص في السورة القرآنية؟

٤- هل يوجد تناسب موضوعي بين القصص في السورة القرآنية؟

٥- هل للقصص في السورة مناسبة وبرهان على مقصدها؟

أسباب اختيار الموضوع:

تحدث جمع من العلماء والباحثين عن كيف أن السورة تخدم موضوعًا رئيسًا، وإنْ تعدَّدت الموضوعات الفرعية فيها، لكنها مشدودة إلى موضوع واحد تأخذ آياته بعنق بعضها لتحقيق الموضوع الرئيس، ولم يتطرق أحدٌ لبيان مناسبة القصص في السورة وبرهانه على مقصدها بدراسة مستقلة، وإن أشار إلى ذلك بعض المفسرين المهتمين بدراسة علم المناسبات؛ لذلك عزمت مستعينًا بالله لإبراز هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

كتبت بحوث ودراسات كثيرة عن سورة البقرة لا صلة لها بموضوع بحثنا، لكن لم يفرد بحث للحديث عن مناسبة القصص في السورة القرآنية وبرهانه على مقصدها-حسب علمي-، ولكن يوجد بحث عن (التناسب القصصي في سورة البقرة دراسة في هدي علم المناسبة)، للباحثين د.زهراء خالد سعدالله العبيدي، ود.طلال يحيى ابراهيم الطوبجي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، منشور في مجلة جامعة زاخو، المجلد ١ (B)، العدد (٢)، ٢٠١٣م، وقد ركزا على التناسب بين القصص حول موضوع التقوى في السورة، وبحثنا يختلف حيث يبين مناسبة القصص لمقصد السورة وهو (إعداد الأُمة لحمل أمانة الخلافة في الأرض)، وقد أفدت منه.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج؛ ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص.

أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث.

والمنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص المستقراة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحتملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

وكانت خطة البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث والقصص.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

المطلب الثاني: القصص في القرآن.

المطلب الثالث: التناسب بين القصص في القرآن.

المبحث الثاني: مناسبة القصص في السورة لمقصدها(دراسة تطبيقية على سورة البقرة).

المطلب الأول: التعريف بسورة البقرة.

المطلب الثاني: التناسب بين القصص في سورة البقرة.

المبحث الثالث: نماذج من مناسبة القصص في السورة لمقصدها.

المطلب الأولى: مناسبة قصة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمقصد السورة.

المطلب الثاني: مناسبة قصة استخلاف بني إسرائيل لمقصد السورة.

المطلب الثالث: مناسبة قصة البقرة لمقصد السورة.

المطلب الرابع: مناسبة قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمقصد السورة.

المطلب الخامس: مناسبة قصة طالوت وجالوت لمقصد السورة.

المطلب السادس: مناسبة قصة الذي حاج إبراهيم في ربه لمقصد السورة.

الخاتمة والتوصيات.

الفهارس.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث، والقصص في القرآن:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث

المناسبة في اللغة:

نسب: النون والسين والباء؛ كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيءٍ منه النسب سُمِّي لاتصاله وللاتصال به[١].

المناسبة في الاصطلاح:

هي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني»[٢].

وقيل: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه في كتاب الله تعالى.

تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها»[٣].

قصص: **الْقَصَصُ**: الأخبار المتتبّعة، قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[سورة آل عمران: ٢٦]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[سورة يوسف: ١١١][٤].

والقصص: الإخبار بما جرى من الأمور[٥].

والقصة: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها[٦].

---

(١) **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس (٥/ ٤٢٣).

(٢) **سراج المريدين**، العربي، القاضي أبي بكر ابن العربي (٢ / ١٠٨).

(٣) **مباحث في التفسير الموضوعي**، مسلم، مصطفى (ص٥٨).

(٤) **مفردات غريب القرآن**، الأصفهاني، الراغب (٦٧١).

(٥) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية (٣/ ٢١٩).

(٦) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٦٦- ٦٩).

السُّورَةُ: المنزلة الرفيعة، وسُورُ المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسُورَةُ القرآن تشبيهًا بها؛ لكونه محاطًا بها إحاطة السّور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر(١).

فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة، ومنزل عال؛ يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى، ومنزل آخر؛ إلى أن يستكمل القرآن(٢).

واصطلاحًا: قرآن يشمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات(٣).

المقصد: (قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء(٤).

والمعنى الأول هو المقصود.

والقصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدًا، فهو قاصد. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة النحل: ٩]؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة(٥)، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها(٦).

ومقصد السورة: هو: مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة، ومضمونها، ويُمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها(٧).

فالمقصد هو الجامع لكل موضوعات السورة المختلفة، كما يجمع العُقْد حبات اللؤلؤ، وكما يجمع ساق الشجرة جميع أفرعها وأوراقها.

والمقصود بالعنوان:

أوجه ارتباط الأخبار المتتابعة في السورة بمغزها الذي ترجع إليه معانيها ومضمونها.

---

(١) **مفردات غريب القرآن**، الأصفهاني، الراغب (٤٣٤).

(٢) **الكليات**، الكفوي (٤٩٤).

(٣) **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، عبد لرحمن (١/ ١٨٦).

(٤) **مقاييس اللغة**، ابن فارس (٥/ ٩٥).

(٥) **لسان العرب**، ابن منظور (٣/ ٣٥٣).

(٦) **معجم اللغة العربية المعاصرة**، نخبة من العلماء (٣/ ١٨٢٠).

(٧) **علم مقاصد السور**، محمد الربيعة، ١٤٢٣هـ-٢٠١١م، ط١، بدون دار نشر، الرياض، السعودية، ص(٧).

المطلب الثاني: القصص في القرآن

امتن الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣]، وإنما كان أحسنه؛ لما يتضمن من العبر والنكت والحِكم والعجائب التي ليست في غيره[١]؛ ولأنه وارد من العليم الحكيم، فهو -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يوحي ما يعلم أنه أحسن نفعًا للسامعين في أبدع الألفاظ والتراكيب؛ فيحصل منه غذاء العقل والروح وابتهاج النفس والذوق مما لا تأتي بمثله عقول البشر[٢].

المقصد من قصص القرآن:

أبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوق القصص قاصرًا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل.

إن في تلك القصص لعبرًا جمة وفوائد للأمة؛ ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويُعرض عما عداه؛ ليكون تعرضه للقصص منزهًا عن قصد التفكه بها، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها؛ لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، هو ذكر وموعظة لأهل الدين[٣].

مناسبة القصص في القرآن لمقاصد السور:

يقول البقاعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إن الله تعالى يعبر لنا في كل سورة تُذْكَر القصة فيها بما يناسب ذلك المقام في الألفاظ عما يليق من المعاني، ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام»[٤]، فيذكر سبحانه وتعالى في

(١) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الزمخشري (٢/ ٤٤١).

(٢) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١٢/ ٢٠٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ٦٦).

(٤) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم (١/ ٢٨٤).

كل سورة ما هو الأليق والأولى بمخصوص منزلها؛ فلذلك ينقص الخطاب في القصة الواحدة في سورة ما يستوفيه في سورة أخرى لاختلاف مخصوص منزلها»[(١)].

وفوائد القصص تجتلبها المناسبات؛ فتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، وسوقها في مناسباتها يكسبها صفتين: صفة البرهان وصفة التبيان.

مثال ذلك:

قوله تعالى: في سورة القلم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [سورة القلم: ٢٦-٢٨]، فقد حكيت مقالته هذه في موقع تذكيره أصحابه بها؛ لأن ذلك محز حكايتها، ولم تحك أثناء قوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [سورة القلم: ١٧] وقوله: ﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [سورة القلم: ٢١-٢٢]، وقد يكون بعض القصة المذكور في موضع مناسباً للحالة المقصودة من سامعيها، ومن أجل ذلك تجد ذكراً لبعض القصة في موضع، وتجد ذكراً لبعض آخر منها في موضع آخر؛ لأن فيما يذكر منها مناسبة للسياق الذي سيقت له، فإنها تارة تساق للمشركين، وتارة تساق لأهل الكتاب، وتارة تساق للمؤمنين، وتارة لكليهما، وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق إليها في حالة أخرى؛ وبذلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز على حسب المقامات، ألا ترى قصة بعث موسى كيف بسطت في سورة طه وسورة الشعراء، وكيف أوجزت في آيتين في سورة الفرقان: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٥-٣٦].[(٢)].

ويستفاد من ذلك أن المناسبة الموضوعية هي التي تُحَدِد القدر الذي يُعْرض من القصة في كل سورة تُذْكر فيها.

(١) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم (٤/ ٣٥٧).

(٢) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٦٦- ٦٩).

المطلب الثالث: التناسب بين القصص في القرآن

تأتي القصص في السورة القرآنية مرتبطة ببعضها موضوعيًا في تناسق وإبداع ومن أمثلة ذلك:

التناسب بين قصتي يحي وعيسى عليهما السلام:

يقول الرازي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في مناسبة قصة يحي لقصة عيسى عليهما السلام: «اعلم أنه تعالى إنما قدم قصة يحيى على قصة عيسى عليهما السلام؛ لأن خلق الولد من شيخين فانيين أقرب إلى مناهج العادات من تخليق الولد لا من الأب البتة، وأحسن الطرق في التعليم والتفهيم الأخذ من الأقرب فالأقرب مترقيًا إلى الأصعب فالأصعب»(١).

ويقول -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في مناسبة ذكر قصة بدر بعد قصة أحد:

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[سورة آل عمران: ١٢٣] في كيفية النظم وجهان:

الأول: أنه تعالى لما ذكر قصة أحد أتبعها بذلك قصة بدر؛ وذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا في غاية الفقر والعجز، والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة، ثم إنه تعالى سلط المسلمين على المشركين؛ فصار ذلك من أقوى الدلائل على أن العاقل يجب أن لا يتوسل إلى تحصيل غرضه ومطلوبه إلا بالتوكل على الله والاستعانة به، والمقصود من ذكر هذه القصة تأكيد قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[سورة آل عمران: ١٢٠] وتأكيد قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٢].

الثاني: أنه تعالى حكى عن الطائفتين أنهما همتا بالفشل؛ ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني من كان الله ناصراً له ومعيناً له فكيف يليق به هذا الفشل والجبن والضعف؟ ثم أكد ذلك بقصة بدر فإن المسلمين كانوا في غاية الضعف ولكن لما كان الله ناصراً لهم فازوا بمطلوبهم وقهروا خصومهم فكذا هاهنا"(٢).

ويستفاد من ذلك أن اتحاد المقصد هو الذي يجمع القصص مع بعضها في السورة القرآنية.

---

(١) **مفاتيح الغيب**، الرازي (٢١/ ٥٢٠).

(٢) المرجع السابق (٨/ ٣٤٨).

المبحث الثاني

مناسبة القصص في السورة لمقصدها (دراسة تطبيقية على سورة البقرة)

المطلب الأول: التعريف بسورة البقرة

على متدبر القرآن أن يتتبع أسماء السورة وفضائلها ووقت نزولها ولا يعزلها عن سياقها التاريخي؛ حتى يستطيع أن يتدبرها.

وقت النزول:

أول سورة نزلت بالمدينة المنورة بعد الهجرة بالاتفاق، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي أول ما نزل في المدينة في السنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في الثانية، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني، حيث نزل فيها آخر آية على الراجح، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[سورة البقرة: ٢٨١]، وقد عدت سورة البقرة السابعة والثمانين في ترتيب نزول السور [١].

الغرض الأسمى من نزولها في المدينة:

تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح سعيًا؛ لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل[٢].

عدد آياتها:

عدد آيها مائتان وخمس وثمانون آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام، وست وثمانون عند أهل العدد بالكوفة، وسبع وثمانون عند أهل العدد بالبصرة[٣].

---

(١) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٢٠١).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٠٢).

(٣) **انظر: البيان في عد آي القرآن**، الداني، أبو عمرو (١٤٠).

أسماء السورة:

١- **البقرة**، سميت بهذا الاسم؛ لورود قصة البقرة فيها، حيث قُتِلَ في بني إسرائيل قتيل، فأمرهم الله تعالى على لسان موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أن يذبحوا بقرة، وبعد كثير من المماطلة والتلكؤ ذبحوها، فأمروا أن يضربوا جسم القتيل ببعض البقرة، فأحياه الله تعالى، وأخبر عن قاتله.

٢- **الزهراء؛ لتسمية الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لها كما ورد في الحديث**: عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ**...[(١)]»[(٢)].

والزهراوان: «النيّرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة: فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي من معانيهما، وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة»[(٣)]، سنام القرآن؛ لتسمية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها كما ورد في الحديث:

عن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**إِنَّ لكلِّ شيءٍ سنامًا، وسنامُ القرآنِ سورةُ البقرةِ، وإنَّ الشيطانَ إذا سمعَ سورةَ البقرةِ تُقرأُ خرجَ منَ البيتِ الذي يُقرأُ فيهِ سورةُ البقرة**»[(٤)].

وسنام كل شيء أعلاه، وسورة البقرة سنام القرآن؛ إما لطولها واحتوائها على أحكام كثيرة، أو لما فيها من الأمر بالجهاد، وبه الرفعة الكبيرة[(٥)].

٣- **فسطاط القرآن**: كان يسميها خالد بن معدان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بالفسطاط؛ وذلك لعظمها، ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها [(٦)].

---

(١) الْبَطَلَةُ: أي أصحاب البطالة والكسالة لطولها، وقيل: أي السحرة؛ لأن ما يأتون به باطل، سماهم باسم فعلهم الباطل، أي لا يؤهلون لذلك أو لا يوفقون له (انظر: **مرقاة المصابيح في شرح مشكاة المصابيح** (٤/ ١٤٦١).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (٨٠٤، ٨٠٥)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (٤/ ٥)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٤) **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، كتاب فضائل القرآن (١/ ٥٦١)، والبيهقي في **شعب الإيمان** (٢/ ٤٥٢)، رقم(٣٢٧٧)، وذكره الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة** (٢/ ١٣٥)، حديث رقم(٥٨٨)، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٥) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن (٨/ ١٨١)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٦) **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي (١/ ١١٩).

فضل سورة البقرة وآيات منها:

عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»(١).

والغيايتان والغمامتان: كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، والمراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين(٢).

وعن أبي بن كعب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ قُلْتُ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ قَالَ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»(٣).

وعن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: «**بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَهُ**»(٤).

وعن أبي مسعود البدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٥).

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(٦).

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب صلاة المسافرين، (رقم ٨٠٤، ٨٠٥).

(٢) **شرح صحيح مسلم**، النووي (٦/ ٩٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

(٣) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (٨١٠).

(٤) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (٨٠٦).

(٥) **الجامع الصحيح**، البخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب المغازي رقم: (٤٠٠٨)، وكتاب فضائل القرآن رقم: (٥٠٠٨، ٥٠٤٠، ٥٠٥١)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٦) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (٧٨٠).

وروى كثير بن عباس عن أبيه أن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال له عندما ولى المسلمون يوم حنين: «**يا عباس! ناد قل: يا أصحاب السمرة، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ**»(١).

وَيُمكن أَن يكون خص الْبَقَرَة بِالذكر حِين فرارهم؛ لِأَن فِيهَا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [٢٤٩] وفيهَا: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [٢٥١]، أَو لِأَن فِيهَا: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [٤٠] وفيهَا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ [٢٠٧](٢).

مقصد السورة:

أقوال العلماء في مقصدها:

يقول البقاعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هُدَى؛ ليُتَّبَع في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه: الإِيمان بالآخرة، ومداره: الإيمان بالبعث، الذي أعربت عنه قصة البقرة، التي مدارها الإِيمان بالغيب(٣).

ويقول ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- أن مقصد السورة هو: «تقرير أصول العلم، وقواعد الدين»(٤).

ويبين الإمام الشاطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- هذا المقصد فقال: «ما هاجر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة، وهي التي قررت قواعد التقوى»(٥).

ويقول ابن عاشور -رَحِمَهُ اللَّهُ- معظم أغراضها ينقسم إلى قسمين:

١- قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس.

٢- وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم(٦).

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم (١٧٧٥).

(٢) **كشف المشكل من حديث الصحيحين** (١/ ٢٧٧).

(٣) **مصاعد النظر**،البقاعي (٢/ ١٢).

(٤) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية (١٤/ ٤١).

(٥) **الموافقات**، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ط١، دار ابن عفان، القاهرة، مصر (٤/ ٢٥٧).

(٦) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٢٠٣).

وبالتأمل في اسم السورة، وفضائلها، وتاريخ نزولها، والقصص فيها، والنظر في آياتها، وبالنظر في أقوال العلماء الفضلاء نجد أنها تدور حول (**إعداد الأُمة الإسلامية لحمل أمانة الخلافة في الأرض**)[1]، وما ذكره علماؤنا الأفاضل يُعد من مقومات وشروط الخلافة، كالتقوى، وبيان أصول العلم، أو من ثمار قيامها وتمكينها، مثل: بيان شرائع الدين، والحفاظ على مقاصد شريعة رب العالمين.

وجه الارتباط بين مقصد السورة وبين حياة المسلمين في المدينة:

بينت السورة صفات المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار في المدينة المؤهلين لحمل أمانة الخلافة في الأرض، وهي نفسها الصفات التي من اتصف بها على مر الدهور كان مؤهلاً لحمل أمانة الخلافة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣-٥].

(١) هذا المقصد من صياغة الباحث بعد استفادته من أقوال أهل العلم وتدبر القصص في السورة.

المطلب الثاني:
التناسب بين القصص في سورة البقرة واتحاد مقصده

هذه السورة مترامية أطرافها، وأساليبها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقًا لتلقيبها فسطاط القرآن، وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية في لُحْمَة محكمة في نظم الكلام، وسدى متين من فصاحة الكلمات.

وكان أسلوبها أحسن ما يأتي عليه أسلوب جامع لمحاسن الأساليب الخطابية، وأساليب الكتب التشريعية، وأساليب التذكير والموعظة، يتجدد بمثله نشاط السامعين بتفنن الأفانين[1].

فقد تحدثت سورة البقرة عن قصص متناسبة مع بعضها البعض موضوعيًا، فبدأ سبحانه بالحديث عن قصة استخلاف آدم وذريته وإعطائه عهد الاستخلاف على هدى من الله، وسلَّحه سبحانه بالعلم الذي هو شرط من شروط الخلافة، وعلَّم المسلمين فيها كيفية الاستشارة في الأمور من خلال عرضه تكرمًا منه جَعْل آدم خليفة، ثم ذكر سبحانه قصة بني إسرائيل وهي وثيقة الصلة بموضوع الخلافة حيث تبين القصة أنهم لم يأخذوا عهد الله معهم بالجد والعزم بل تلقوا التكاليف بالتلكؤ في تنفيذها، وسفكوا دم القتيل، وأفسدوا في الأرض وعبدوا العجل؛ فنزع الله منهم الخلافة، ثم تأتي قصة إبراهيم كنموذجًا من النماذج الناجحة في الإمامة في الدين، بعد أن قام حق القيام بما كلف به من الأوامر والنواهي، وأبرزت القصة أن الظلم منافي لمقام الإمامة، ثم تأتي قصة الذي آتاه الله الملك كنموذج طاغي وجبار في إمامته حيث طغى بها وتجبر، ثم تأتي قصة طالوت وجالوت؛ لتوضح وتبين وتبرز صفات من أحق بالملك من حيث توافر صفتي البسطة في علم السياسة والتدبير، والقوة في الجسم؛ للقيام بالجهاد في سبيل الله، وتبرز للأمة المستخلفة أنه لابد للحق من قوة تحميه، كما أن للباطل قوة تطغيه.

فإذا نظرنا بتأمل وتدبر وجدنا التناسب والتناسق الموضوعي بين القصص واتحاد مقصده؛ لترسخ وتعمق مفهومًا هو (إعداد الأُمة لحمل أمانة الخلافة في الأرض)، من خلال شروطها من العلم والشورى والعدل والجهاد، ومن حيث النماذج الناجحة في الإمامة كإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وطالوت، ونماذج طغت وتجبرت واغترت بملكها فنزعه الله منها كبني إسرائيل، والنمرود الحاكم الطاغي المتكبر.

(١) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٢٠٣).

ونذكر ما قاله العلماء الأفاضل حول المناسبات بين بعض القصص في السورة:

التناسب بين قصتي ذبح البقرة والقتيل:

قال الخازن -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فإن قلت كان حق هذه القصة أن يقدم ذكر القتيل أولاً، ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك، فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب؟

قلت: وجهه أن الله لما ذكر من قصص بني إسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعاً لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين في نفس الأمر، فالأولى؛ لتقريعهم على ترك المسارعة إلى امتثال الأمر وما يتبعه، والثانية؛ لتقريعهم على قتل النفس المحرمة.

فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع؛ فلهذا قدم ذكر الذبح أولاً ثم عقبه بذكر القتل[1].

التناسب بين قصة استخلاف بني إسرائيل وقصة إبراهيم:

لما استقصى سبحانه وتعالى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم وختم هذا الفصل بما بدأ به وهو قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾؛ شرع سبحانه هاهنا في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وكيفية أحواله، والحكمة فيه أن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ شخص يَعْترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركين كانوا معترفين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته.

وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضاً مقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أموراً توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه، وبيانه من وجوه:

أحدها: أنه تعالى لما أمره ببعض التكاليف فلما وَفَى بها وخرج عن عهدتها لا جرم نال النبوة والإمامة؛ وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

(١) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الخازن (١/ ٥٤).

وثانيها: أنه تعالى حكى عنه أنه طلب الإمامة لأولاده؛ فقال الله تعالى: ﴿...قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤]؛ فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب؛ وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل.

وثالثها: أن الحج من خصائص دين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم؛ ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك.

ورابعها: أن القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود والنصارى؛ فبين الله تعالى أن هذا البيت قبلة إبراهيم الذي يعترفون بتعظيمه ووجوب الاقتداء به؛ فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك الغضب عن قلوبهم.

وخامسها: أن من المفسرين من فسر الكلمات التي ابتلى الله تعالى إبراهيم بها بأمور يرجع حاصلها إلى تنظيف البدن؛ وذلك مما يوجب على المشركين اختيار هذه الطريقة؛ لأنهم كانوا معترفين بفضل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويوجب عليهم ترك ما كانوا عليه من التلطخ بالدماء وترك النظافة ومن المفسرين من فسر تلك الكلمات بما أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صبر على ما ابتلي به في دين الله تعالى، وهو النظر في الكواكب والقمر والشمس ومناظرة عبدة الأوثان، ثم الانقياد لأحكام الله تعالى في ذبح الولد والإلقاء في النار؛ وهذا يوجب على هؤلاء اليهود والنصارى والمشركين الذين يعترفون بفضله أن يتشبهوا به في ذلك ويسلكوا طريقته في ترك الحسد والحمية وكراهة الانقياد لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه الوجوه التي لأجلها ذكر الله تعالى قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1].

وقال ابن عاشور -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «مناسبة ذكر فضائل إبراهيم ومنزلته عند ربه ودعوته لعقبه عقب ذكر أحوال بني إسرائيل، هي الاتحاد في المقصد، فإن المقصود من تذكير بني إسرائيل بالنعم والتخويف؛ تحريضهم على الإنصاف في تلقي الدعوة الإسلامية والتجرد من المكابرة والحسد وترك الحظوظ الدنيوية لنيل السعادة الأخروية.

والمقصود من ذكر قصة إبراهيم موعظة المشركين ابتداء وبني إسرائيل تبعًا له، لأن العرب أشد اختصاصًا بإبراهيم من حيث إنهم يزيدون على نسبهم إليه بكونهم حفظة حَرَمِه، ومنتمين قديمًا للحنيفية ولم يطرأ عليهم دين يخالف الحنيفية بخلاف أهل الكتابين»[2].

(١) **مفاتيح الغيب**، الرازي (٤/ ٣١).

(٢) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٧٠٠).

المبحث الثالث

نماذج من مناسبة القصص في السورة لمقصدها

المطلب الأول: مناسبة قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لمقصد السورة

تأتي قصة استخلاف آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في الأرض في هذا السياق، ومنحه مقاليدها، على عهد من الله وشرط، وإعطائه العلم الذي تقوم عليه الخلافة.

الآيات: [٣٠-٣٩]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠-٣٩].

مناسبة الآيات لما قبلها وعلاقتها بمقصد السورة:

لما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: ٢٩]، وبين فيها أن الأرض قد خلقت لبني آدم مُهيأة ومُعدة للاستخلاف؛ بين لنا بعض أسرار استخلاف بني آدم في الأرض، وإعطائهم كمال الاستعداد للتعلم الذي يستطيعون به أن يقوموا بمقتضيات الخلافة.

وقال ابن عاشور -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «عطفت قصة خلق أول البشر على قصة خلق السماوات والأرض؛

تخلصًا من ذكر خلق السماوات والأرض إلى خلق النوع -الإنسان- الذي هو سُلطان الأرض، والمتصرف في أحوالها»[1].

وقال البقاعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لما ذكر خلق السموات والأرض؛ «أتبعها قصة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دليلاً ظاهراً ومثالاً بيناً لخلاصة ما أريد بهذه الجمل مما نبه عليه بالعاطف من أن النوع الآدمي هو المقصود بالذات من هذا الوجود»[2].

ولقد أتت قصة آدم على ترتيب الخلق، حيث خلق الله السموات والأرض ثم خلق آدم؛ لأنه سيد الأرض ومعمرها، روى مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: «**أخذ رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بيدي فقال: خلق الله** عَزَّوَجَلَّ **التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل**»[3].

مقصد قصة آدم ومناسبتها لمقصد السورة:

مقصد قصة آدم:

بيان مزية العلم وفضله، وأنه العُمْدَة في الخلافة وشرط من شروطها.

مناسبة القصة لمقصد السورة:

هذه الآيات تبين الاستخلاف الأول في الأرض لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبو البشر، ومن ثم فإن الأُمة المحمدية وارثة لميراث آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حمل أمانة الدين والخلافة في الأرض بما ينفع الخلق ديناً ودنيا، ويتبين ذلك من خطاب الله عَزَّوَجَلَّ للنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يُشعِر بأحقِّيته وأحقِّية أمّته في وراثة هذه الخلافة العُظمى وهذا التَّكريم؛ كأنّه تسليم له ولأمته لهذه الخِلافة.

وفي القصة فوائد تتعلق بالاستخلاف:

١- هذه الآيات أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام

(١) انظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٣٩٥).

(٢) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي (١/ ٢٢٨).

(٣) **صحيح مسلم**، مسلم، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (٢٧٨٩).

الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأُمة ولا بين الأئمة[١]، وعن وظيفة الإمامة قال الماوردي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «الْإِمَامَة مَوْضُوعَة لخلافة النُّبُوَّة فِي حراسة الدّين وسياسة الدُّنْيَا»[٢].

٢- إن الله استخلف الخليفة في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه[٣].

٣- هذه الآيات تدل على شرف الإنسان، ومزية العلم وفضله على العبادة، وأنه شرط في الخلافة بل العُمْدَة فيها[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[سورة البقرة: ٣٠]؛ موجه إلى الملائكة على وجه الإخبار؛ ليكون كالاستشارة لهم تكريماً لهم فيكون تعليماً في قالب تكريم مثل إلقاء المعلم فائدة للتلميذ في صورة سؤال وجواب وليسن الاستشارة في الأمور[٥]، ومن أعظم هذه الأمور اختيار الخليفة، وقيامه بعد توليه بها في الأمة؛ لأنها مقوم من مقومات الخلافة وشرط من شروطها.

أفادت الآيات أن من كان من شأنه الفساد في الأرض وسفك الدماء بغير حق؛ لا يصلح للتعمير؛ لأنه إذا عمَّر؛ نقض ما عمَّره، وقد دلت آيات كثيرة على أن إصلاح الأرض ومن عليها مقصد للشارع قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥].

٥- قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[سورة البقرة: ٣٠]؛ دليل على أنهم علموا أن مراد الله من خلق الأرض هو صلاحها وانتظام أمرها[٦].

٦- عقد استخلاف الخليفة قائم على تلقي الهُدَى من الله، والتقيد بمنهجه في الحياة غير متبع لهواه.

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي (١/ ٢٦٤)، بتصرف يسير.

(٢) **الخلافة**، رضا، رشيد (١٧).

(٣) **تفسير البيضاوي**، البيضاوي (١/ ٧٠)، بتصرف يسير.

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٤٠٠).

(٦) المرجع السابق (١/ ٤٠٣).

المطلب الثاني

مناسبة قصة استخلاف بني إسرائيل لمقصد السورة

هذه القصة قصة أمة أنزل عليها هُدَى وكيف كان موقفها من هذا الهُدَى، والقصة تُحَذِّر المسلمين من مزالق الطريق التي عثرت فيها أقدام الأُمة المستخلفة قبلهم، فحُرِمَت مقام الخلافة، وسُلِبت شرف القيام على أمانة الله في الأرض، ومنهجه لقيادة البشر.

الآيات [٤٠-٦٦]

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ

مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٠-٦٦].

مناسبة هذه القصة لقصة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

قال أبو حيان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- «ناسب الكلام معهم-أي مع بني إسرائيل- قصة آدم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام؛ لأنهم بعد ما أوتوا من البيان الواضح والدليل اللائح، المذكور ذلك في التوراة والإنجيل، من الإيفاء بالعهد والإيمان بالقرآن، ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن ومن جاء به»[(١)]، وكان الأولى بهم أن يكونوا أول المؤمنين به.

مقصد القصة: بيان سبب نزع أمانة الخلافة من بني إسرائيل.

مناسبة القصة لمقصد السورة:

هذه القصة تحذير للأمة المستخلفة من الوقوع في المزالق التي وقعت فيها بنو إسرائيل وكانت سببًا في نزع الخلافة منهم؛ لأن سنة الله لا تحابي أحداً، والآيات بيان وتوضيح لقانون التماثل والذي ينص على أن المثيل يأخذ حكم مثيله، والشبيه يأخذ حكم شبيهه، قال ابن كثير-رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «والظاهر أن الآيات وإن كانت خطابًا في سياق إنذار بني إسرائيل؛ فإنهم لم يُقْصَدوا بها على سبيل التخصيص؛ وإنما هي عامة لهم ولغيرهم»[(٢)].

(١) **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان (١/ ٢٨٠).

(٢) **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ت: سلامة (١/ ٢٥٤).

وفي هذه القصة ذكر الله من النعم على بني إسرائيل عشرة أشياء؛ ليشكروه، ويعظّموه، ويعبدوه، وفي الآيات إيماء للأمة الإسلامية المستخلفة أن تشكر ربها بما أنعم عليها؛ حتى لا تقع فيما وقعت فيه بنو إسرائيل، فتعاقب بمثل ما عوقبوا؛ لأن الشكر حافظ للنعم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[سورة إبراهيم: ٧].

وهذه النعم هي:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾[سورة البقرة: ٤٩].

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾[سورة البقرة: ٥٠].

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾[سورة البقرة: ٥٦].

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾[سورة البقرة: ٥٧]،

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[سورة البقرة: ٥٧].

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم ﴾ [سورة البقرة: ٥٢].

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾[سورة البقرة: ٥٤].

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾[سورة البقرة: ٥٨].

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٥٣].

﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[سورة البقرة: ٦٠].

وذكر جَلَّجَلَالُهُ **من سوء أفعالهم عشرة أشياء؛ لتتجنبها الأمة المسلمة المستخلفة:**

قولهم سمعنا وعصينا، واتخذتم العجل، وقالوا أرنا الله جهرة، وبدل الذين ظلموا، ولن نصبر على طعام واحد، ويحرفونه، وتوليتم من بعد ذلك، وقست قلوبكم، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق.

وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء؛ لتعتبر بها الأمة المسلمة المستخلفة:

ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله، ويعطوا الجزية، واقتلوا أنفسكم، وكونوا قردة، وأنزلنا عليهم رجزًا من السماء، وأخذتكم الصاعقة، وجعلنا قلوبهم قاسية، وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم.

وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين، وخوطب به المعاصرون لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم.

وقد وبخ -عَزَّوَجَلَّ- المعاندين لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بتوبيخات أخر، وهي: كتمانهم أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع معرفتهم به، ويحرّفون الكلم، ويقولون هذا من عند الله، وتقتلون أنفسكم، وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم، وحرصهم على الحياة، وعداوتهم لجبريل، واتباعهم للسحر، وقولهم نحن أبناء الله، وقولهم يد الله مغلولة[1].

الفوائد من القصة المتعلقة بمقصد السورة:

١- ذكَّرهم الله -عَزَّوَجَلَّ- بالنعمة؛ ليستعظموها فيشكروه، ويطيعوه.

٢- بالتفكر في النعم التي أنعم بها عليهم؛ ينصرفوا عن حسد غيرهم، فإن تذكير الحسود بما عنده من النعم عظة له، وصرف له عن الحسد الناشئ عن الاشتغال بنعم الغير، وهذا تعريض بهم أنهم حاسدون للعرب فيما أوتوا من الكتاب والحكمة ببعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتقال النبوة من بني إسرائيل إلى العرب[2].

٣- تفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم، فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم، وعصوا أنبياءهم، وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة، وقضى عليهم بالتشريد وحق عليهم الوعيد.

(١) **تفسير ابن جزي**، ابن جزي (١/ ٨١)، بتصرف يسير.

(٢) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٤٥٢).

المطلب الثالث: مناسبة قصة البقرة لمقصد السورة

هذه قصة من قصص بني إسرائيل ظهر فيها من قلة التوقير لنبيهم ومن الإعنات في المسألة والإلحاح فيها إما للتفصي من الامتثال، وإما لبعد أفهامهم عن مقصد الشارع.

بسط القصة:

عن عبيدة السلماني، قال: كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثم احتمله ليلاً فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا، وركب بعضهم إلى بعض، فقال ذوو الرأي منهم والنهى: علام يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فذكروا ذلك له، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [سورة البقرة: ٦٧]، قال: فلو لم يعترضوا البقر لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا، فأخذوها بملء جلدها ذهبا فذبحوها، فضربوه ببعضها فقام فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا، لابن أخيه. ثم مال ميتاً، فلم يعط من ماله شيئاً، فلم يورث قاتل بعد[1].

الآيات: [٦٧- ٧٤]

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌۚ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَاۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَـٔۡتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم (١/ ٢١٤)، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير (١/ ٣٣٧).

كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٦٧-٧٤].

مقصد القصة: بيان أن التلكؤ في تطبيق شرع الله مؤذن بنزع الخلافة.

الحكمة من ذبح البقرة:

قال الماوردي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وإنما أمر -والله أعلم- بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجل، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته(١).

وقال أبو حيان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وإنما اختص البقر من سائر الحيوانات؛ لأنهم كانوا يعظمون البقر ويعبدونها من دون الله، فاختبروا بذلك، إذ هذا من الابتلاء العظيم، وهو أن يؤمر الإنسان بقتل من يحبه ويُعظِّمه»(٢).

مناسبة القصة لمقصد السورة:

أشارت القصة إلى أن أسباب نزع الخلافة من بني إسرائيل وهي: الفساد في الأرض، وسفك الدماء بغير حق، وعبادة غير الله، والتلكؤ في تنفيذ شرع الله سبحانه وتعالى.

والقصة عبرة وعظة للأمة المستخلفة ألا تتلكأ في تنفيذ شرع الله، وأن تحافظ على الدماء المعصومة، وأن تسعى للإصلاح ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

الفوائد من القصة المتعلقة بمقصد السورة:

١- إن التنطع في الدين والإحفاء في السؤال؛ مما يقتضي التشديد في الأحكام، فمن شدد شُدِدَ عليه؛ ولذلك نهى الله - تعالى - هذه الأمة عن كثرة السؤال بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: ١٠١-١٠٢]،

(١) **تفسير الماوردي**، الماوردي (١/ ١٣٧).

(٢) **تفسير البحر المحيط**، أبو حيان (١/ ٤٠٤).

وقد امتثل سلفنا الأمر فلم يشددوا على أنفسهم؛ فكان الدين عندهم حنيفياً سمحاً[1]، وهذه عبرة للأمة المستخلفة؛ لتنهج منهج الوسطية والاعتدال والتيسير في الأحكام.

٢- تكليف بني إسرائيل بالصفات العسير وجودها مجتمعة؛ تأديب علمي على سوء فهمهم في التشريع كما يؤدب طالب العلم إذا سأل سؤالاً لا يليق برتبته في العلم، ومن ضروب التأديب الحمل على عمل شاق[2].

٣- قوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾؛ تعريض بهم بذكر حال من سوء تلقيهم الشريعة، تارة بالإعراض والتفريط، وتارة بكثرة التوقف والإفراط، وفيه تعليم للمسلمين بأصول التفقه في الشريعة[3].

٤- التلكؤ في تطبيق شرع الله مؤذن بنزع الخلافة.

(١) انظر: **تفسير المنار**، رضا، رشيد (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٥٥٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ٥٥٦).

المطلب الرابع: مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام كنموذج في إمامة الخير لمقصد السورة

تجيء مناسبة هذه القصة؛ لتقرير حقيقة دين إبراهيم -وهي التوحيد الخالص- وبُعْد ما بينها وبين العقائد المشوهة المنحرفة التي عليها أهل الكتاب، وأن أولى الناس بهذه العقيدة من آمن به من أمته، ورسولنا الكريم محمد صلى الله على وسلم ومن آمن معه، فهم الذين اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٨].

الآيات [١٢٤- ١٤١]

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٢٤-١٤١].

مناسبة ذكر قصة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

مناسبة ذكر فضائل إبراهيم ومنزلته عند ربه ودعوته لعقبه عقب ذكر أحوال بني إسرائيل، هي الاتحاد في المقصد، فإن المقصود من تذكير بني إسرائيل بالنعم والتخويف؛ تحريضهم على الإنصاف في تلقي الدين كله والتجرد من المكابرة والحسد وترك الحظوظ الدنيوية لنيل السعادة الأخروية [١].

مقصد القصة: بيان أن العدل شرط من شروط الخلافة وعَمَدها، وأن الظلم منافي لها.

مناسبة القصة لمقصد السورة:

الظلم من أسباب نزع أمانة الخلافة في الأرض من بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ تنبيه على أن أهل الكتاب والمشركين يومئذ ليسوا جديرين بالإمامة؛ لاتصافهم بأنواع من الظلم كالشرك وتحريف الكتاب وتأويله على حسب شهواتهم والانهماك في المعاصي حتى إذا عرضوا أنفسهم على هذا الوصف علموا انطباقه عليهم[٢].

وفي الآية أن المتصف بالكبيرة ليس مستحقًا لإسناد الإمامة إليه والتي تعني سائر ولايات المسلمين: الخلافة والإمارة والقضاء والفتوى ورواية العلم وإمامة الصلاة ونحو ذلك.

قال الرازي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قال الجمهور من الفقهاء والمتكلمين الفاسق حال فسقه لا يجوز عقد الإمامة له[٣].

---

(١) انظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٧٠٠).

(٢) المرجع السابق (١/ ٧٠٧).

(٣) **مفاتيح الغيب**، الرازي (٤/ ٣٨).

مقومات حمل أمانة الخلافة في الأرض كما وردت في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- **الابتلاء**: قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾، يشير إلى سنة من سنن الله في الاستخلاف وهو الابتلاء، وأن الابتلاء يسبق التمكين للأمة المستخلفة، وهذه السنة أشار إليها الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- حين سأله رجل: أيهما أفضل للمرء، أن يمكن أو أن يُبتلى؟ فقال الشافعي: لا يُمكَّن حتى يُبتلى.فإن الله - تعالى - ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أن يخلص من الألم ألبتة[١].

٢- **العدل**: بكل معانيه هو أساس استحقاق حمل الأمانة بكل معانيها وصورها، وهو واجب على كل أحد لكل أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٨].

٣- **التوحيد**: الكعبة بيت بناه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لعبادة الله وحده دون شريك؛ فيأوي إليه من يدين بالتوحيد، ويطوف به من يقصد تعظيم الله تعالى[٢]؛ **ومن شروط الخلافة توحيد الله كما قال تعالى**: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥].

٤- **الأمن**: كانت دعوة إبراهيم بقوله ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [سورة البقرة: ١٢٦] من جوامع كلم النبوة فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع[٣]، وهي إشارة للأمة المستخلفة بضرورة السعي لتحقيق الأمن في ملكها؛ حتى يتحقق على أيديهم الرخاء والتعمير.

ومن الفوائد التي يستفيدها المستخلفون أيضاً:

١- ذكر الله تعالى نموذجًا باقيًا دالًا على إمامة إبراهيم، وهو هذا البيت الحرام الذي جعل قصده، ركنًا من أركان الإسلام، حاطًا للذنوب والآثام، وفيه من آثار الخليل وذريته، ما عرف به

---

(١) **الفوائد**، ابن القيم (٢٨٣).

(٢) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٧٠٨).

(٣) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٧٠٨).

إمامته، وتذكرت به حالته[1]، والذي يجب أن يُعْظِّمه المستخلفون الجدد، ويطهروه معنوياً بالتوحيد، وحسياً بحسن صيانته وعمارته.

٢- مقصد إبراهيم من دعوته بقوله ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[سورة البقرة: ١٢٦]، أن تتوفر لأهل مكة أسباب الإقامة فيها، فلا تضطرهم الحاجة إلى سكنى بلد آخر؛ لأنه رجا أن يكونوا دعاة لما بنيت الكعبة لأجله من إقامة التوحيد، وخصال الحنيفية وهي خصال الكمال... وخص إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم حرصًا على شيوع الإيمان لساكنيه؛ لأنهم إذا علموا أن دعوة إبراهيم خصت المؤمنين؛ تجنبوا ما يحيد بهم عن الإيمان، فجعل تيسير الرزق لهم على شرط إيمانهم؛ باعثاً لهم على الإيمان[2].

٣- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٢]، لما كان من شأن أهل الحق والحكمة أن يكونوا حريصين على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم كان من مكملات ذلك أن يحرصوا على دوام الحق في الناس متبعاً مشهوراً، فكان من سننهم التوصية لمن يظنونهم خلفاً عنهم في الناس بأن لا يحيدوا عن طريق الحق ولا يفرطوا فيما حصل لهم منه، فإن حصوله بمجاهدة نفوس، ومرور أزمان فكان لذلك أمراً نفيساً يجدر أن يحتفظ به[3]، وهذا ما يجب على الأمة المستخلفة أن تقوم به؛ فتحافظ على الأجيال الحالية بتربيتها على حمل الحق الذي حُمِّلت به، وتخطط للأجيال المستقبلة في كيفية الحفاظ على عقيدتها وعبادتها وأخلاقها وشريعتها.

٤- قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٤]، عقبت الآيات المتقدمة من قوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤]؛ لأن تلك الآيات تضمنت الثناء على إبراهيم وبنيه والتنويه بشأنهم والتعريض بمن لم يقتف آثارهم من ذريتهم، وكأن ذلك قد ينتحل منه المغرورون عذراً لأنفسهم؛ فيقولون: نحن وإن قصرنا فإن لنا من فضل آبائنا مسلكاً لنجاتنا، فذُكِرت هذه الآية؛ لإفادة أن الجزاء بالأعمال لا بالاتكال[4] ولا بالنسب.

---

(١) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمن (٦٥).

(٢) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (١/ ٧٠٨).

(٣) المرجع السابق (١/ ٧٢٧).

(٤) المرجع السابق (١/ ٧٣٥).

المطلب الخامس

مناسبة قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت لمقصد السورة

إن الحذر من الموت لا يجدي، وإن الفزع والهلع لا يزيدان حياة، ولا يمدان أجلاً، وأن الجبان قد يلقى حتفه في مظنة النجاة.

الآيات [٢٤٢-٥٤٢]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣-٢٤٥].

مقصد القصة:

موعظة المسلمين بترك الجبن، وأن الخوف من الموت لا يدفع الموت.

عرض القصة:

هؤلاء قوم فروا من عدوهم، مع كثرتهم، وأخلوا له الديار، فوقعت لهم في طريقهم مصائب أشرفوا بها على الهلاك، ثم نجوا، أو أوبئة وأمراض، كانت أعراضها تشبه أعراض الموت.

ومحل العبرة من القصة هو أنهم ذاقوا الموت الذي فروا منه؛ ليعلموا أن الفرار لا يغني عنهم شيئًا، وأنهم ذاقوا الحياة بعد الموت؛ ليعلموا أن الموت والحياة بيد الله[1].

ومن الفوائد التي تستفيد منها الأمة المستخلفة:

١- ينبغي للإنسان أن يستعد للذي يحذر منه وهو لا يدري متى يفجؤه، ويقوم بما ينفعه في دنياه وآخرته، كما روى أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنْ قَامَت**

(١) انظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (٢/ ٤٨٠).

السَّـاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ[1] **فَإِنْ استَطاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا**»[2]، وبالتأمل في الحديث نجد أنه يرشد المستخلفين إلى التعمير في الأرض حتى لو ظهرت علامات القيامة، ولا يقعدن كسالى ينتظرون الموت.

٢- جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ المقصود منها بث خلق الاعتماد على الله في نفوس المستخلفين في جميع أمورهم، وأنهم إن شكروا الله على ما آتاهم من النعم؛ زادهم من فضله، ويسر لهم ما هو صعب.

٣- جملة ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ حث على القتال، وتحذير من تركه؛ بتذكيرهم بإحاطة علم الله تعالى بجميع المعلومات: ظاهرها وباطنها.

٤- قوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قدم وصف سميع، وهو أخص من عليم، اهتماما به هنا؛ لأن معظم أحوال القتال في سبيل الله من الأمور المسموعة، مثل جلبة الجيش وقعقعة السلاح وصهيل الخيل، ثم ذكر وصف عليم؛ لأنه يعم العلم بجميع المعلومات، وفيها ما هو من حديث النفس مثل خلق الخوف، وتسويل النفس القعود عن القتال، وفي هذا تعريض بالوعد والوعيد[3].

٥- قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ حث الأمة على الإنفاق في سبيل الله؛ لتجهيز المجاهدين وإعدادهم بالعدة، وحتى يكون الإنفاق خلقاً سائداً في أفرادها.

(١) فَسِيلةٌ: نخلة صغيرة.

(٢) **الأدب المفرد**، باب: اصطناع المال، (٤٧٩). قال الألباني: صحيح، انظر: **السلسلة الصحيحة** (٩).

(٣) انظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور (٢/ ٤٨٠).

المطلب السادس:

مناسبة قصة طالوت وجالوت لمقصد السورة

تعرض هذه القصة تجربة في حياة بني إسرائيل من بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعد ما ضاع ملكهم، وذلوا لأعدائهم، ثم نفخ الله روح الشجاعة والإقدام في خيارهم وهم الأقلون؛ فقاموا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بدورهم بعد تأييده سبحانه وتعالى لهم؛ فهزموا الباطل وأهله؛ فحقق الله لهم النصر والعز والتمكين.

الآيات: [٢٤٣-٢٥٢]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ

جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣-٢٥٢].

مقصد القصة:

بيان مواصفات المُؤَهل للخلافة والمُلك.

عرض القصة من خلال العرض القرآني:

«تشير آيات القرآن إلى قصة وقعت لبني إسرائيل، في فترة من فترات حياتهم في الأراضي المقدسة، كانوا مضطهدين مهزومين أمام أعدائهم، وقد سلب أعداؤهم منهم «التابوت» الذي فيه سكينة من الله، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وقد شعر القوم بالذل ومرارة الهزيمة والهوان، وكان هذا الشعور عند الجميع، العامة والملأ المالكون فيهم؛ فأرادوا أن يغيِّروا واقعهم الذليل، وأن يبدلوا ذلهم وهزيمتهم نصراً. وعلموا أن السبيل الوحيد لذلك هو الجهاد والقتال؛ لذلك لجأ الملأ الحاكمون فيهم إلى نبيهم، وفزعوا إليه، وطلبوا منه أن يختار لهم ملكًا يتولى أمورهم، ويقودهم إلى العزة والنصرة، ويقاتل بهم أعداءهم، في سبيل الله، ويبدو أن ذلك النبي كان يعلم طبيعتهم المائعة وهمتهم الرخوة، وأنهم عندما يؤمرون بالقتال، فسوف ينكصون عنه، ويقعدون عن خوضه، فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾[سورة البقرة: ٢٤٦]، يعني: هل تقاتلون أم تتخلفون عندما نطالبكم بالقتال؟ أعلم أنكم ستتخلفون!؛ فطمأنوه بأنهم سوف يقاتلون ولا يتخلفون، وأن الذي يمنعهم من القتال هو عدم وجود ملك لهم يقودهم، وأنه إن جاءهم بالملك فسيسارعون في القتال معه، وبينوا له الباعث القوي الذي يدفعهم للقتال، إنه الذل الذي يعيشونه، وإخراجهم من ديارهم، وهزيمتهم أمام أعدائهم، وإنهم حريصون على هزيمة الأعداء وتحرير الديار، فلماذا لا يقاتلون؟.

لما سمع نبيهم كلامهم، ولاحظ حماستهم واندفاعهم، سأل ربه، فأوحى الله إليه أن «طالوت» هو ملكهم الذي يقودهم إلى النصر والعزة والتحرير.

فوجئوا بذلك إذ كانوا يتوقعون الملك قادمًا من بيت الملك وعائلة الملوك، وطالوت ليس من هذا البيت، ثم إنه فقير لا يملك المال الكافي الذي يؤهله للملك، فاعترضوا على نبيهم قائلين:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[سورة البقرة: ٢٤٧].

فبين لهم النبي المواصفات التي تؤهله للملك وأنه هو أنسب الناس للملك حسب الميزان الرباني الإيماني:

- إن الله اصطفاه عليكم، والله حكيم خبير.
- و إن الله زاده بسطة في العلم وتمكناً منه.
- و أن الله زاده بسطة وقوة في الجسم تعينه على النهوض بأعباء الملك ومشقات القيادة.

و عندما جاء وقت الجد والكفاح والقتال والجهاد، بدؤوا في التساقط ولم يصبر مع طالوت إلا فئة قليلة سمعت وأطاعت، واعتمدت على خالقها، فنصرهم الله على أعدائهم[١].

ومن الفوائد التي تستفيد منها الأُمة المستخلفة:

١- إن الحماسة الجماعية، قد تخدع القادة لو أخذوا بمظهرها؛ فيجب أن يضعوها على محك التجربة، قبل أن يخوضوا بها المعركة الحاسمة، وهذه ظاهرة بشرية عامة لا تغير منها إلا التربية الإيمانية العالية الطويلة الأمد العميقة التأثير.

٢- فضيلة الجهاد في سبيل الله وفوائده وثمراته، وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين وحفظ الأوطان وحفظ الأبدان والأموال، وأن المجاهدين، ولو شقت عليهم الأمور، فإن عواقبهم حميدة كما أن الناكلين، ولو استرحوا قليلاً فإنهم سيتعبون طويلاً.

٣- الانتداب لرياسة من فيه كفاءة، وأن الكفاءة ترجع إلى أمرين: إلى العلم الذي هو علم السياسة والتدبير، وإلى القوة التي ينفذ بها الحق، وأن من اجتمع فيه الأمران فهو أحق من غيره.

٤- الاستدلال بهذه القصة على ما قاله العلماء: أنه ينبغي لأمير الجيوش، أن يتفقدها عند فصولها، فيمنع من لا يصلح للقتال، من رجال وخيل وركاب لضعفه، وضعف صبره، أو لتخذيله، أو خوف الضرر بصحبته، فإن لهذا القسم ضرر محض على الناس.

٥- إنه ينبغي عند حضور البأس، تقوية المجاهدين، وتشجيعهم، وحثهم على القوة الإيمانية، والاتكال الكامل على الله، والاعتماد عليه، وسؤال الله التثبيت والإعانة على الصبر والنصر على الأعداء.

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن، الخالدي، صلاح عبد الفتاح (١٢١-١٢٢).

٦- أن العزم على القتال والجهاد غير حقيقته، فقد يعزم الإنسان، ولكن عند حضوره تنحل عزيمته، ولهذا كان من دعاء النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما رواه شداد بن أوس: قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد[١]».

٧- إن الأُمم إذا قهرها العدو، ونكَّل بها يفسد بأسها، ويغلب عليها الجبن والمهانة، فإذا أراد الله إحياءها بعد مواتها ينفخ روح الشجاعة والإقدام في خيارها وهم الأقلون، فيعملون ما لا يعمل الأكثرون[٢].

٨- لا عبرة بكثرة العدد إنما العبرة بالتأييد الإلهي، والنصر السماوي، فإذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة، وإذا جاءت المحنة فلا منفعة من كثرة العدد والعدة "[٣].

٩- متى عظم الشعور بوجوب حفظ حقوق الأُمة ومحاربة أعدائها عند خواص الأُمة، فإنه لا يلبث أن يسري على عامتها، حتى إذا خرجت من طور الفكر والشعور إلى طور العمل والظهور؛ انكشف عجز الأدعياء ولم ينفع إلا صدق الصادقين.

١٠- من شأن الأُمم الاختلاف في اختيار الرئيس، والاختلاف مدعاة للتفرق، فلابد من مُرجِّح ترضى به الأُمة، كما طلبت بنو إسرائيل من نبيهم اختيار ملك لهم، فكان هو المُرجِّح، والمُرجِّح عند المسلمين هم أهل الحل والعقد منهم.

١١- إن الأُمم في طور الجهل ترى أن أحق الناس بالملك والزعامة أصحاب الثروة الواسعة، كما في قول المنكرين على طالوت ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[سورة البقرة: ٢٤٧]، فهذا الاعتقاد من السنن العامة في الأُمم الجاهلية.

١٢- إن الإيمان بالله، والتصديق بلقائه من أعظم أسباب الصبر والثبات في مواقف الجِلاد والقتال.

١٣- إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطيء، وقليل هم الذين يقدرون على حمل أعباء الجهاد الحق، عندما يتوكلون على الله حق التوكل، ويأخذون بأحسن الأسباب حسب استطاعتهم.

---

(١) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، كتاب الرقائق (٩٣٥)، قال الألباني: صحيح لغيره، انظر: السلسلة الصحيحة (٣٢٢٨).

(٢) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي (١١٨-١١٩).

(٣) **مفاتيح الغيب**، الرازي (٣/ ١٩٩).

المطلب السابع

مناسبة قصة الذي حاج إبراهيم في ربه لمقصد السورة

تحكي القصة حواراً بين إبراهيم- عَلَيْهِ السَّلَامُ- ومَلِك في أيامه يجادله في الله، هذا الملك كان منكراً لوحدانية الله في الألوهية والربوبية ولتصريفه للكون وتدبيره لما يجري فيه وحده، وكذلك كان منكراً أن الحكم لله وحده.

الآية [٢٥٨]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

مقصد القصة:

بيان أن المُلك يُطغي ويُبطر من لا يُقَدِّرون نعمة الله عليهم.

والمعنى في الآية: هل رأيت -أيها النبي- أعجب من جرأة الطاغية[١] الذي جادل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في ربوبية الله وتوحيده، وقد وقع منه ذلك؛ لأن الله آتاه المُلك فطغى، فبيّن له إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- صفات ربه قائلًا: ربي الذي يحيي الخلائق ويُمِيتُها، قال الطاغية عنادًا: أنا أُحيي وأُميت بأن أقتل من أشاء وأعفو عمن أشاء، فأتاه إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بحجة أخرى أعظم، قال له: إن ربي الذي أعبده يأتي بالشمس من جهة المشرق، فأت بها أنت من جهة المغرب، فما كان من الطاغية إلا أن تحيَّر وانقطع، وغُلب من قوة الحجة، والله لا يوفق الظالمين لسلوك سبيله؛ لظلمهم وطغيانهم[٢].

مناسبة القصة للمقصد:

الإحياء والإماتة في القصة تبين قدرة الله سبحانه وأنه المتفرد بذلك، وتسكب في نفوس المستخلفين

(١) قال مجاهد -رَحِمَهُ اللَّهُ-: هو نمروذ بن كنعان، وهو أول من تجبر وادعى الربوبية، (انظر: **مفاتيح الغيب** (٧/ ٢٠).

(٢) مركز تفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم** (٤٣).

الجدد الطمأنينة والسكينة؛ لينفروا إلى ساحات الجهاد في سبيل الله لنصرة دينه، وحفاظًا على الحق الذي يحملونه؛ فإنه لابد للحق من قوة تحميه، كما أن للباطل قوة تطغيه وترديه.

فوائد من القصة مناسبة للمقصد:

- الجدل الذي عرضه الله على نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلى المؤمنين معه؛ يمضي مثلاً للضلال والعناد، وتجربة يتزود بها المستخلفون الجدد في مواجهة المنكرين، وفي ترويض النفوس على تعنت المنكرين.
- في الآية دليل للمستخلفين على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، وأما ما نهي عنه من الجدل فهو جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل والخطأ.
- انتفاء هدي الله عن القوم الظالمين؛ لأن الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل من الحجج وإعمال النظر فيما فيه النفع، إذ الذهن في شاغل عن ذلك بزهوه وغروره، فاحذروا أيها المستخلفون من الظلم؛ لأنه يحول بينكم وبين الهداية إلى طريق الحق والرشاد.
- ذكر الأصوليون في هذه الآية: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الإحياء والإماتة، لكنه أمر له **حقيقة ومجاز**، قصد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحقيقة، ففزع نمرود إلى المجاز وموه به على قومه[1]، ويستفاد من ذلك أن القادر على الإحياء والإماتة حقيقة؛ قادر على إحياء الأُمة معنويًا من ضعفها ورقادها؛ لتتسلم زمام الريادة والقيادة بالخلافة، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[سورة الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[سورة النحل: ٩٧]، ثم تقوم الأُمة بواجبها في بث معاني الإيمان والكرامة في نفوس أفرادها؛ ويعود الإنسجام بين الإنسان والكون ويسبح كل منهما بحمد ربه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].
- والآيات توحي بأن المُلك لا يدوم لأحد، فإما الملك زائل عنه إلى غيره، أو هو زائل عنه بموته؛ فليتق الله فيما خوله من مُلك؛ حتى يجد عون الله وتأييده في تدبير شؤون ملكه.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١/ ٣٤٦).

مجلة تعظيم الوحيين

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث، ونسأله القبول الحسن، وهذه أهم نتائج الدِّراسة:

١- ارتباط القصة في السورة القرآنية بما قبلها وما بعدها من قصص ارتباط موضوعي، فبينهم اتحاد في المقصد.

٢- المناسبة الموضوعية هي التي تُحَدِد القدر الذي يُعْرض من القصة في كل موضع.

٣- مقصد السورة هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة، ومضمونها.

٤- القصص في السورة طريقة من طرق الكشف عن مقصدها وبرهان عليه.

٥- مقصد سورة البقرة الذي برهنت عليه القصص فيها (إعداد الأُمة الإسلامية لحمل أمانة الخلافة في الأرض).

٦- ذكرت القصص في سورة البقرة شروط الاستخلاف في الأرض والتي منها: التوحيد- العلم- الشورى- العدل - الجهاد - الأمن - القدرة سياسة وتدبير أمور الدولة.

التوصيات:

أولاً: يوصي الباحث الباحثين بالاهتمام بالقصص في السورة القرآنية كطريقة من طرق الكشف عن مقصد السورة والبرهان عليه.

ثانيًا: اهتمام العلماء والخطباء بمدارسة سورة البقرة وطريقتها في إقامة المدينة الفاضلة على هدي القرآن الكريم.

مجلة تعظيم الوحيين

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٤. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٥. **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٦. **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

٧. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٨. **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٩. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٠. **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله** ﷺ **وسننه وأيامه** = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٥. **الخلافة**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، المحقق: بدون، الزهراء للاعلام العربي - مصر - القاهرة.

١٦. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).

١٧. **سنن ابن ماجه**، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٨. **شرح صحيح مسلم**، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

١٩. **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٠. **علم مقاصد السور**، محمد الربيعة، ١٤٢٣هـ - ٢٠١١م، ط١، بدون دار نشر، الرياض، السعودية.

٢١. **الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م.

٢٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٢٣. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٤. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٥. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٢٦. **مباحث في إعجاز القرآن**، د مصطفى مسلم، دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٧. **مباحث في التفسير الموضوعي**، مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٨. **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٢٩. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٣٠. **مختار الصحاح**، محمد ابن أبي بكر، ، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣١. **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٦هـ.

٣٢. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٣٣. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٤. **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: «المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى»**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧ م.

٣٥. **مع قصص السابقين في القرآن**، الدكتور صلاح الخالدي، الطبعة الخامسة. ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار النشر: دار القلم بدمشق.

٣٦. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م.

٣٧. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٨. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٣٩. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٤٠. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ط١، دار ابن عفان، القاهرة، مصر.

٤١. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.